سلسلة الخطب الدعوية (١٣-٢٥)

القصص

مجموعة خطب ألقيتها من على منبر الجمعة وهي مناسبة أن تُلقى كمحاضرات أو كلمات في المساجد والمدارس والإذاعات وغيرها.

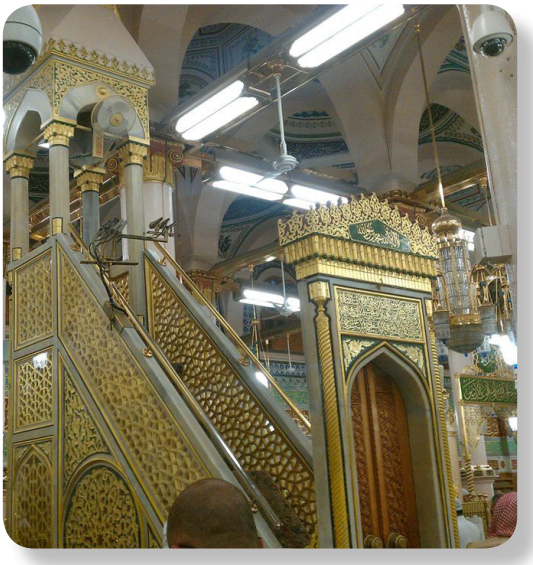

أعدها وألقاها

حمد بن إبراهيم بن صالح الحريقي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الطبعة الأولى

جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3].

أما بعد:

فهذه مجموعة من الخطب المنبرية والتي ألقيتها خلال قيامي بالخطابة في عدد من جوامع المملكة العربية السعودية وأغلب هذه الخطب كانت في جامع البساتين بمحافظة القويعية في الفترة من عام ١٤١٤-١٤٢٤هـ.

ولا أزعم أن هذه الخطب المدونة كانت من اجتهادي الخاص ولكنني استفدت من عدد من الكتب ودواوين الخطب المطبوعة ويبقى أن لكل خطيب بصمته الخاصة في الإعداد وطريقته المتميزة في الإلقاء عن غيره.

---

(١) [سورة آل عمران: آية ١٠٢].

(٢) [سورة النساء: آية ١].

(٣) [سورة الأحزاب: آية ٧٠-٧١].

وكان الباعث لنشر هذه الخطب هو الحاجة الماسة لدى الكثير من الخطباء في هذا العصر وطلبهم للخطب والبحث عما كُتب من قبل ومساهمة في نشر الخير وإعانة للخطباء والوعاظ والمتكلمين وغيرهم ممن ينشر الخير والفائدة في المساجد والمدارس والإذاعات كان إخراجها ونشرها.

وهي صالحة بإذن الله للخطابة فيها وإلقاءها عن طريق الكلمات في المساجدأو المدارس أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

أسأل الله أن يبارك في هذه الخطب وأن يجعلها حجة لنا لا علينا وأن ينفع بها عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

والله وحده الموفق لكل خير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

حمد بن إبراهيم الحريقي

في الخامس من رمضان لعام ١٤٤١ هـ أيام وباء كورونا (كوفيد ١٩)

في البلد الحرام مكة المكرمة - حرسها الله -

جوال ٠٠٩٦٦٥٥٥٤٢٢٥٢٠

❊❊❊

سلسلة الخطب الدعوية :

م	العنوان	م	العنوان
١	الإيمان والتوحيد.	١٤	التربية.
٢	الله جل جلاله وكتابه الكريم.	١٥	الآداب.
٣	محمد صلى الله عليه وسلم وسنته.	١٦	الأخلاق الحسنة.
٤	الصلاة والزكاة.	١٧	الأخلاق السيئة.
٥	الصيام.	١٨	المحرمات.
٦	الحج والعمرة.	١٩	الأمن.
٧	العيدين والاستسقاء.	٢٠	العالم الإسلامي.
٨	أشراط الساعة.	٢١	الطوائف والفرق.
٩	الموت والدار الآخرة.	٢٢	الشباب.
١٠	الفتن والبلاء.	٢٣	المرأة.
١١	السير والمعارك.	٢٤	الزواج.
١٢	الحقوق.	٢٥	الدراسة والإجازة.
١٣	القصص.		

قصة أصحاب الفيل

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

وإن الناظر في أحوال الأمم والشعوب قبلنا وبخاصة الظالمين منهم ممن أهلكه الله تعالى ليأخذ من ذلك عظات وعبراً كيف لا وقد قال سبحانه ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾[2].

وإن في تأمل مصير الظالمين وما جرى عليهم من الإهلاك عبرة لكل جبار عنيد نعم الجبار الذي ما كان يهدأ له بال في الدنيا إلا وهو يرى بأم عينيه دماء الأبرياء من المؤمنين تنزف على يد زبانيته المجرمين فما يحرك لذلك ساكناً بل وكأن شيئاً لم يكن وهو زيادة على ذلك قد أطلق لنفسه العنان فأغرقها في الشهوات والشبهات منتهكاً بذلك الحرمات ضاربا بالشرع المطهر عرض الحائط

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٢) سورة يوسف: آية ١١١.

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾[1].

ومصير أولئك الطغاة أن يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر كما قال سبحانه ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[2].

وهكذا يكون مصير كل ظالم متجبر على مر الأزمان والدهور ولا يبقى إلا حماية الله وركنه القوي الشديد قوة الله هي القوة وولاية لله هي الولاية وما عداها فهو واهن ضئيل هزيل مهما علا واستطال ومهما تجبر وطغى ومهما ملك من وسائل البطش والطغيان والتنكيل.

وما من يد إلا يد الله فوقها ... وما ظالمٌ إلا سيبلى بأظلم

وثمة سورة في كتاب الله تعالى قليلٌ آيها كبير حدثها وعظيم مدلولها تنبئ عن نهاية الظالمين وهلاك المتكبرين لا بسلطان البشر وقوتهم ولكن بقوة الواحد الأحد وتؤكد السورة ألا قوة فوق قوة الواحد الأحد وتؤكد السورة ألا قوة فوق قوة الله وأن القوى الظالمة مهما تجبرت وطغت فنهايتها الفناء.

أخرج الحاكم مختصراً وصحح قصة أصحاب الفيل فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال أقبل أصحاب الفيل عليهم صاحب الحبشة ومعه الفيل فلما دنوا من مكة استقبلهم عبد المطلب جد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لملكهم ما جاء بك إلينا

(١) سورة البروج: آية ٨-٩.

(٢) سورة العنكبوت: آية ٤٠.

ألا بعثت فنأتيك بكل شيء أردت؟ فقال أخبرت بهذا البيت الذي لا يدخله أحداً إلا أميـن فجئـت أضيف أهله فقال إنا نأتيك بكل شـيء تريد فارجـع فأبى إلا أن يدخلـه فقـال عبد المطلـب إن هذا بيت الله تعالى لم يسـلط عليه أحـداً. قالوا لا نرجع حتى نهدمه وانطلق يسـير نحوه وتخلف عبد المطلب فقام على جبل فقال لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله ثم قال:

اللـهـم إن لـكـل إلـه حـــلالاً فـمـنـع حـلالـك
لايـغـلـبـن مـحـالـهـم أبـــــــداً مـحـالـك
الـلـهـم فـــإن فـعـلـت فـأمـر مـا بـــدا لـك

فلمـا انتهى الجيش إلى الحرم برك الفيل وحبسـه الله عن مكه فأبى أن يدخل الحرم فإذا وجه راجعـًا أسـرع راجعـًا وإذا أريد على الحرم أبى وجعل الله كيدهم في تضليل فأقبلت مثل السحابة من نحو البحر طيرٌ صغارٌ بيض أبابيل لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب في أفواهها حجارة أمثال الحمص سواء بها نضـح حمرة كأنها جزع ظفـار في منقار كل واحد منها حجـر وحجران في رجلين فأقبلت حتى أظلتهم فجعلت ترميهم بها ولا تصيب شيئـًا إلا هشمته فجعل الفيل يعج عجـًا فجعلهم الله كعصف مأكول فكان لا يقع منها حجر على أحد منهم إلا تفطـر مكانه فذلك أول ما كان الجدري ولـم تصبهم كلهم فأخذتهم الحكة فكان لا يحك انسـان منهم جلده إلا تسـاقط لحمه فأصيب صاحب الحبشـة في جسده فهـرب وكلمـا قدم أرضا تسـقط بعض لحمـه حتى أتى قومـه فأخبرهم الخبر ثم هلك. وأرسـل الله إليهم سـيلاً فذهب بهم وألقاهم في البحر وبقي جزء من الفيل أخضر محلاً بعد عام وكان يقف عليه البعض ينظر إليه.

وفي فجر ذلك اليوم العظيم الذي رد الله فيه كيد أصحاب الفيل ولد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول.

وتؤكد حادثة الفيل أن القوة لله جميعاً وأن قوى البشر مهما بلغت فإنها ستضاءل أمام قوة الله كما تكشف الحادثة عن ضعف البشر مهما تجبروا وأتوا من قوة أمام سلطان الله.

أجل لقد أرعد وأزبد أبرهة وأقسم ليهدمن الكعبة وليصرفن العرب في الحج إلى الكنيسة القليس التي بناها في صنعاء وكان ما كان حتى بلغ بيت الله وانتهت دونه الحماية البشرية ولم تبق إلا قوة الله ولم يبق من ناصر أو معين قادر على دفع الظالمين.

وكان من عقل عبد المطلب أن طلب من قومه الخروج من جوار الكعبة ويقول قولته المشهورة أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه فكانت حماية الله لبيته فجاءت جنود السماء تحمل العذاب الأليم لهؤلاء المستكبرين وكانت النهاية لهؤلاء القوم ولم تكن نهايتهم بداية الهلاك للأمم والقوى الظالمة فقد سبقتها قوى حطمت وقوى أهلكت وديارها أطلال موحشة ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾[1].

ولا تعني حادثة الفيل أن يتعطل المسلمون عن فعل الأسباب المشروعة لمقارعة الباطل وأهله ولكن يتأكد عدم الاستسلام للباطل مهما انتفش أصحابه وتؤكد عدم اليأس من نصر الله حين تستعف المسلمون إذا ما صدقوا مع خالقهم. كما تؤكد عدم الإحباط عند رؤية القوى الكبرى تبطش وتقهر وتحل وتعقد فربك للظالمين بالمرصاد وهو يمهل ولا يهمل وأخذه أليم شديد.

(١) سورة القصص: آية ٥٨.

اللهـم إنا نعـوذ برضاك من سـخطك وبمعافاتك من عقوبتـك وبك منك لا نحصي ثناء عليك. ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منها يا أرحم الراحمين.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على رسول الخلق أجمعين صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين ... أما بعد:

فمن دلالات حادثة الفيل أن الاعتقاد بتخليد قوة مهما بلغت ظنٌ خاطئ يكذبه الواقع ويشهد بخلافه ناموس الكون بقدرة الله فأين عاد التي لم يخلق مثلها في البلاد؟ وأين ثمود الذين جابوا الصخر بالواد؟ وأين فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى؟ وأين قارون الذي آتاه الله كنوز؟ وأين جحافل التتر الذين عاثوا في الأرض الفساد؟ وأين أصحاب الحملات الصليبية؟ وأين أصحاب الحربين العالمية؟ بل أين دهاقنة الشيوعية وقد أذن الله مؤخراً بسقوط الشيوعية ولا تزال روسيا تصارع من أجل البقاء وتصب جام غضبها على المسلمين.

إن تاريخ القوى المحطمة والدول المتتالية في السقوط عبر القرون يؤكد حقيقة الملك لله والتفرد لله وكلما زاد الظلم تسارع السقوط وكلما كان الهدى والصلاح عمرت البلاد والعباد.

وما أحوجنا جميعاً إلى عقيدتنا الحقة فيها ينتشر العدل والخير وبها تطوى صفحات الظلم والهضم وبها تتساقط القوى الوهمية وتنتهي الشعارات الخادعة، وحين يصدق المسلمون في عقيدتهم وتوجههم لخالقهم فإنه يكفيهم كيد الكائدين ويدفع عنهم قوى الأرض أجمعين فالذي دفع أصحاب الفيل قادر على دفع غيرهم من الأمم الكافرة الظالمة والله على كل شيء قدير.

قصة ذي النون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾[1].

في القصص بشكل عام سلوة وعبرة وأحسن القصص قصص القرآن الكريم ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾[2].

وسأتحدث عن طرفٍ من قصة نبي الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي دعا قومه فلم يستجيبوا له أول مرة فذهب مغاضباً لهم وركب البحر وشاء الله أن تقف به وبمن معه السفينة في لج البحر مما أحرج أصحاب السفينة إلى الاقتراع وإنزال أحد ركابها فوقع السهم على هذا النبي الكريم ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ١٤١ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢﴾[3] ولذا نسب إلى الحوت فقيل له «ذو النون» وعاش فترة في بطن الحوت

(١) سورة المائدة: آية ٣٥.

(٢) سورة يوسف: آية ١١١.

(٣) الصافات: ١٤١-١٤٢.

لا يهشم له لحماً ولا يكسر له عظماً ولكنه في ظلمات موحشه أنقذه الله منها بسبب تعرفه على الله في الشدة كما كان يعرفه في الرخاء إنه يونس بن متى صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

عاش في أرض الموصل وبعثه الله إلى أهل نينوى وسميت في القرآن سورة باسمه ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[1] وكم في قصته من الدروس والعبر.

وقبل أن نأخذ شيئاً من قصته نقف على قصته كما وردت، فعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إن يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان وعد قومه العذاب وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام فتفرقوا بين كل والدةٍ وولدها ثم خرجوا فجأروا إلى الله واستغفروه فكف الله عنهم العذاب وغدا يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ينتظر العذاب فلم ير شيئاً وكان عندهم أن من كذب ولم يكن له بينة قتل، فانطلق مغاضباً حتى أتى قوماً في سفينة فحملوه وعرفوه فلما دخل السفينة ركدت والسفن تسير يميناً وشمالاً فقال ما بال سفينتكم قالوا ما ندري قال ولكني أدري إن فيها عبداً أبق من ربه إنها والله لا تسير حتى تلقوه قالوا أما أنت والله يا نبي الله فلا نلقيك فقال لهم يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اقترعوا فمن قرع فليقع فاقترعوا فقرعهم يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ثلاث مرات فوقع وقد وكل به الحوت فلما وقع ابتلعه فأهوى به إلى قرار الأرض فسمع يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تسبيح الحصى قال ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل قال ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾﴾[2] قال كهيئة الفرخ

(١) سورة الأنبياء: آية ٨٧-٨٨.

(٢) سورة القلم: آية ٤٩.

الممعوط الذي ليس عليه ريش وأنبت الله عليه شجرة من يقطين فكان يستظل بها أو يصيب منها فيبست فبكى عليها حين يبست فأوحى الله إليه أتبكي على شجرة أن يبست ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم؟ فخرج فإذا هو بغلام يرعى غنماً فقال ممن أنت يا غلام؟ قال من قوم يونس قال فإذا رجعت إليهم فأقرئهم السلام وأخبرهم أنك لقيت يونس. فقال الغلام إن تكن يونس فقد تعلم أنه من كذب ولم يكن له بينة قتل فمن يشهد لي؟ قال تشهد لك هذه الشجرة وهذه البقعة فقال الغلام ليونس مرهما فقال لهما يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا لي قالتا نعم. فرجع الغلام إلى قومه وكان له إخوة فكان في منعه فأتى الملك فقال إني لقيت يونس وهو يقرأ عليكم السلام فأمر به الملك أن يقتل فقال إن له بينه فأرسل معه فانتهوا إلى الشجرة والبقعة فقال لهما الغلام نشدتكما بالله هل أشهدكما يونس قالتا نعم فرجع القوم مذعورين يقولون تشهد لك الشجرة والأرض فأتوا الملك فحدثوه بما رأوا فتناول الملك يد الغلام فأجلسه في مجلسه وقال: أنت أحق بهذا المكان مني وأقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة.

ومن دروس القصة أهمية الصبر والحاجة إلى التواصي به دائماً وأبداً ولهذا جاء تأنيس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به وتذكيره بقصة يونس حيث قال سبحانه ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨﴾[1].

ثانياً: وما قدره الله على نبي الله يونس لحكمة بالغة لا يقلل من شأنه ولا ينبغي لأحد أن يقول عنه أنه أفضل منه ولذا ورد في الصحيحين أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِن يُونُسَ بنِ مَتَّى»[2].

(١) سورة القلم: آية ٤٨.

(٢) صحيح البخاري (٣٣٩٥).

ثالثًا: قدرة الله عظيمة في كل شيء، فيونس يظل حيًا وإن غيب في ظلمة البحر وبطن الحوت وظلمة الليل وغير ذلك.

رابعًا: الاتجاه إلى الله في جميع الحالات في الرخاء والشدة والسرور والغم وما أحوج الأمة المسلمة في ظروفها الراهنة وكروبها المتلاحقة أن تعي هذا الدرس العظيم من قصة يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فتتجه إلى الله وحده وتدعوه سبحانه دعاء المكروب دعاء المعترف بخطئه والواثق بنصر خالقه والله لا يخيب الرجاء ولا يقطع حبل السماء والله قريب لمن دعاه مستجيب لمن ناجاه.

نحن ندعوا الإله في كل كربٍ ... ثم ننساه عند كشف الكروب

كيف نرجو إجابة لدعاءٍ ... قد سددنا طريقه بالذنوب

فكم هو عظيم دعاء ذي النون وأعظم منه سماع النجوى استجابة الله للدعاء ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[1].

اللهم اجعلنا من أهل الإيمان وممن يعرفونك يا رحمان في الرخاء والشدة يا صاحب العفو والغفران.

❋❋❋

(١) سورة الأنبياء: آية ٨٧-٨٨.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً يرضاه والشكر له على نعماه وإن كانت غير محصاه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

وكم تغيب عنا دعوة ذي النون واسم الله الأعظم وهما مفتاح للإجابة وسبيل للنجاة يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دعوةُ ذِي النُّونِ إذْ دَعَا بِها و هو في بطْنِ الحُوتِ ؛ لا إلهَ إلَّا أنتَ سُبحانَكَ إنِّي كُنتُ من الظالِمينَ ، لمْ يدْعُ بِها رجلٌ مُسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلَّا استجابَ اللهُ لهُ**»[1] فهل يتذكر المسلمون قيمة هذه الدعوة وهل يدعون بها في حال كربهم ورخائهم وهم موقنون بالإجابة من ربهم ؟.

ومن قصة يونس وقومه يتبين صدق التوجه إلى الله والتضرع إليه بالصدق والتوبة والدعاء وكذلك من العبر: عظم جريمة الكذب وقد كانت في الأمم الغابرة جريمة كبرى يستحق مرتكبها القتل.

كما أن في القصة أن ملك الله يؤتيه من يشاء وهو المعز لمن شاء ..

وفي القصة أيضاً: أن عظم الجزاء مع عظم البلاء ويبتلي الله تعالى الناس على قدر إيمانهم وخلاصة دعوة ذي النون صدق في التوجه إلى الله وتسبيح بحمده وحده وطلب الغوث والنجاة منه.

وتظل قصة ذي النون درساً وموعظة لكل مغموم ومكروب وأنه لا منجي من الله إلا إليه والتضرع له وسؤاله الفرج.

---

(١) صحيح الجامع (٣٣٨٣) صحيح.

وهذا هو كتاب الله تعالى يذكر هذه القصة وغيرها من القصص العظيمة التي فيها العظات والعبر فهل من معتبر؟

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا، اللهم علمنا منه ما جهلنا وذكرنا منه ما نسينا وانفعنا به يا رب العالمين.

❊❊❊

الفرج بعد الشدة

الحمد لله يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾[1]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير الصابرين وأفضل الشاكرين صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الشاكرين لأنعم الله ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[2] وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى واعلموا أن الله بكل شيء عليم.

وإن الحياة الدنيا مليئة بالمحن والمتاعب والبلايا والمصائب والشدائد والنكبات والنوائب لا تثبت على حال فهي دائمة التغير والتحول قال سبحانه ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾[3] وقال جَلَّ وَعَلَا ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾[4].

ولن تجدوا أحداً في هذه الحياة الدنيا سالماً من المصائب والمحن إلا ما شاء الله.

فهذا مصاب بالعلل والأسقام وهذا مصاب بعقوق الأولاد وهذا مصاب

(١) سورة البقرة: آية ٢٤٣.
(٢) سورة البقرة: آية ١٧٧.
(٣) سورة الفتح: آية ٢٣.
(٤) سورة آل عمران: آية ١٤٠.

بسوء خلق زوجته أو امرأة بسوء خلق زوجها أو عدم صلاح ذريتهما وهذا مصاب بجيران سوء وهذا مصاب بكساد تجارته أو فساد زراعته أو فقر وضيق في حالته ومعيشته. وهذا يجد ويجتهد وينال مناه، وهذا يشقى ويتعب ولا يحصل على مبتغاه وهكذا إلى نهاية سلسلة من الآلام التي لا تقف عند حد ولا يحصيها عد، ولا يزيل هذه الآلام ويكشف هذه الكروب إلا علام الغيوب سبحانه وبحمده.

يقول الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المضطر هو المكروب المجهود الذي لا حول له ولا قوة وقيل هو المذنب وقيل هو الذي عراه ضر من فقر أو مرض فألجأه إلى التضرع إلى الله تعالى وقد ضمن الله سبحانه إجابة دعاء المضطر إذا دعاه ووجه ذلك أن الاضطرار سبب للإخلاص وقطع النظر عما سوى الله.

ولنبشر جميعاً أن الله وعدنا بالسعة بعد الضيق وبالعافية بعد البلاء وبالرخاء بعد الشدة واليسر بعد العسر فقال جَلَّ وَعَلَا ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾[1].

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «لو دخل العسر في جحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾».

إن الأمور إذا التوت وتعقدت نزل القضاء من السماء فحلها

ولقد قرن الفرج بالكرب واليسر بالعسر يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأنَّ النصرَ مع الصبرِ وأن الفرجَ مع الكربِ وأنَّ مع العسرِ يسرًا**»[2].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كم قص الله سبحانه من قصص تفريج كربات أنبيائه عند تناهي الكروب بإنجاء نوح ومن معه في الفلك وإنجاء إبراهيم من

(١) سورة الشرح: آية ٥-٦.

(٢) مسند أحمد (٤/ ٢٨٧) إسناده صحيح.

النار وفدائه لولده الذي أمر بذبحه وإنجاء موسى وقومه من اليم وإغراق عدوهم وقصة أيوب ويونس وقصص محمد عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأتم التسليم مع أعدائه وإنجائه منهم كقصة الغار ويوم بدر والأحزاب وحنين وغير ذلك.

وعندما تشتد عليك المحن وتقبل عليك الشدائد فاعلم أن فرج الله قريب فعليك بالصبر.

صبراً جميلاً ما أقرب الفرجا ... من راقب الله في الأمور نجا
من صدق الله لم ينله أذى ... ومن رجاه يكون حيث رجا

وعليك ألا تجزع مما أصابك ولا تحزن فإن ذلك لا يرد فائتاً ولا يرفع واقعاً وإنما هو سخط على القضاء وسبب للبلاء. فاترك الحزن والهم وكن مستعيناً بالله ومتوكلاً على الله الذي لا يحمد على مكروه سواه. وكن موقناً بأن ما كان لك فلن يفوتك وما لم يكن لك فلن تدركه مهما بذلت وتعبت.

وإذا اشتدت عليك الكروب وتوالت عليك المصائب فاعلم أن الفرج قريب.

قال الأعمش على قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[1] قال من شأنه أن يجيب داعياً أو يعطي سائلاً أو يفك عانياً وهو الأسير أو يشفي سقيماً وهو المريض.

وقد قيل إذا بليت فثق بالله وارض به ... إن الذي يكشف البلوى هو الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ... ما لا مرية حيلة فيما قضى الله
والله مالك غير الله من أحد ... فقل بقلب سليم حسبي الله

(١) سورة الرحمن: آية ٢٩.

وإياك والجزع والهلع فان ذلك لا يرد ما فات ولا يحيي ما مات وعليك بالصبر عند نكبات الحياة ومفاجآت الدهر وانغلاق الأبواب.

قال أبو عمر بن العلاء: استعمل الحجاج أبي على بعض أعماله فنقم عليه فتوارى أبي عنه في بادية قومه وأنا معه راكب فبينما أنا في سحر من الأسحار إذ مر راكب وهو يقول:

صبر النفس عن كل ملم إن في الصبر حيلة المحتال

لا تضق في الأمور ذرعًا فقد يكشف غماؤها بغير احتيال

ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال

قال: فقلت وما ذالك قال مات الحجاج فوا الله ما أدري بأيهما كنت أشد فرحًا أبقوله مات الحجاج أم بقوله فرجه كحل العقال؟.

وعلينا جميعًا ألا نيأس من روح الله، فإن الله يرفع البلاء ويدفع الغلاء ويكشف السوء وسيجعل الله بعد عسر يسراً.

اللهم يسرنا لليسرى وجنبنا العسرى واجعل لنا بعد العسر يسرا واغفر لنا في الآخرة والأولى.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله فارج الهم وكاشف الغم مجيب دعوة المضطرين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو فضل على المؤمنين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير العابدين وإمام المتقين صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .... أما بعد:

فيا عباد الله اتقوا الله تعالى واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه.

ولتعلم أخي أن تقوى الله تجعل لك مخرجاً ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾[1] واتق الله وتوكل عليه يكفيك همك وكفى بالله وكيلاً واعلم أن الاستغفار سبب لتفريج الكروب وكشف الغموم وإزالة الهموم قال سبحانه ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾[2]. ونعم المجيب سبحانه وبحمده.

واعلموا جميعاً أن الذي يزيل الهموم ويكشف الغموم هو الله جَلَّ وَعَلَا.

قال سبحانه ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾[3] وعند حدوث المصائب والبلايا على الإنسان أن يتهم نفسه بالتقصير والظلم فإن الإنسان لا يؤتى إلا من قبل نفسه قال تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾[4].

---

(١) سورة الطلاق: آية ٤.

(٢) سورة هود: آية ٦١.

(٣) سورة الأنعام: آية ١٧.

(٤) سورة الشورى: آية ٣٠.

قصة الذين خلفوا عن غزوة تبوك

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

ونستمع إلى قصة نادرة من نوادر التاريخ وقصة عجيبة حصلت في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورواها من عايش أحداثها والقصة في صحيح البخاري فاستمع، وتأمل ما فيها من العظات والعبر وما فيها من الدروس المهمة التي نحن بحاجة للتذكير بها دائماً.

وفي الحديث «أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ، وكَانَ، قَائِدَ كَعْبٍ مِن بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عن قِصَّةِ، تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عن رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غَزْوَةٍ غَزَاهَا إلَّا في غَزْوَةِ تَبُوكَ، غيرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ في غَزْوَةِ بَدْرٍ، ولَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إنَّما خَرَجَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حتَّى جَمَعَ اللَّهُ بيْنَهُمْ وبيْنَ عَدُوِّهِمْ علَى غيرِ مِيعَادٍ، ولقَدْ شَهِدْتُ مع رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ العَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا علَى الإسْلَامِ، وما أُحِبُّ أَنَّ لي بهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وإنْ كَانَتْ بَدْرٌ، أَذْكَرَ في النَّاسِ منها،

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

كانَ مِن خَبَرِي: أنِّي لَمْ أكُنْ قَطُّ أقْوَى ولَا أيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عنْه، في تِلكَ الغَزَاةِ، واللَّـهِ ما اجْتَمعتْ عِنـدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حتَّى جَمَعْتُهُما فـي تِلكَ الغَزْوَةِ، ولَمْ يَكُنْ رَسولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ غَزْوَةً إلَّا ورَّى بغَيْرِهَا، حتَّى كَانَتْ تلكَ الغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حَرٍّ شَدِيدٍ، واسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، ومَفَازًا وعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فأخْبَرَهُمْ بوَجْهِهِ الذي يُرِيدُ، والمُسْـلِمُونَ مع رَسـولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرٌ، ولَا يَجْمَعُهُمْ كِتَـابٌ حَافِظٌ، يُرِيدُ الدِّيوَانَ، قَالَ كَعْبٌ: فَما رَجُلٌ يُرِيدُ أنْ يَتَغَيَّبَ إلَّا ظَنَّ أنْ سَيَخْفَى له، ما لَمْ يَنْزِلْ فيه وحْيُ اللَّه، وغَزَا رَسولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ والظِّلَالُ، وتَجَهَّـزَ رَسـولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمُسْـلِمُونَ معـهُ، فَطَفِقْتُ أغْدُو لِكَـيْ أتَجَهَّزَ معهُمْ، فأرْجِعُ ولَمْ أقْضِ شيئًا، فأقُولُ في نَفْسِي: أنَا قَادِرٌ عليه، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بي حتَّى اشْـتَدَّ بالنَّاسِ الجِدُّ، فأصْبَحَ رَسـولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمُسْلِمُونَ معهُ، ولَمْ أقْـضِ مِن جَهَازِي شـيئًا، فَقُلتُ أتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بيَوم أوْ يَومَيْنِ، ثُـمَّ ألْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أنْ فَصَلُوا لأتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ ولَمْ أقْضِ شيئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ ولَمْ أقْضِ شـيئًا، فَلَمْ يَزَلْ بي حتَّى أسْـرَعُوا وتَفَارَطَ الغَـزْوُ، وهَمَمْتُ أنْ أرْتَحِـلَ فَأُدْرِكَهُمْ، ولَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لي ذلكَ، فَكُنْتُ إذَا خَرَجْتُ في النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطُفْتُ فيهم، أحْزَنَنِي أنِّي لا أرَى إلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عليه النِّفَاقُ، أوْ رَجُـلًا ممَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، ولَمْ يَذْكُرْنِي رَسـولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّى بَلَـغَ تَبُـوكَ، فَقَالَ: وهو جَالِسٌ فـي القَوْمِ بتَبُوكَ: ما فَعَلَ كَعْبٌ فَقَـالَ رَجُلٌ مِن بَنِي سَـلِمَةَ: يا رَسولَ اللَّه، حَبَسَـهُ بُرْدَاهُ، ونَظَرُهُ في عِطْفِه، فَقَالَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ: بِئْسَ ما قُلْتَ، واللَّه يا رَسولَ اللَّه ما عَلِمْنَا عليه إلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَـالَ كَعْبُ بـنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أنَّـه تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّـي، وطَفِقْتُ أتَذَكَّرُ

الكَذِبَ، وأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِن سَخَطِهِ غَدًا، واسْتَعَنْتُ على ذلك بكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِن أَهْلِي، فَلَمَّا قيلَ: إنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ، وعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ منه أَبَدًا بشيءٍ فيه كَذِبٌ، فأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وأَصْبَحَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِمًا، وكانَ إذَا قَدِمَ مِن سَفَرٍ، بَدَأَ بالمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فيه رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذلكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إلَيْهِ ويَحْلِفُونَ لَـه، وكَانُوا بضْعَـةً وثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ منهمْ رَسـولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ، وبَايَعَهُمْ واسْـتَغْفَرَ لهمْ، ووَكَلَ سَـرَائِرَهُمْ إلى اللَّهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَـلَّمْتُ عليه تَبَسَّمَ تَبَسُّـمَ المُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: تَعَالَ فَجِئْتُ أَمْشِـي حتَّى جَلَسْتُ بيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: ما خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ. فَقُلتُ: بَلَى، إنِّي واللَّهِ لو جَلَسْتُ عِنْدَ غيرِكَ من أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِن سَخَطِهِ بعُذْرٍ، ولقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، ولَكِنِّي واللَّهِ، لقَـدْ عَلِمْـتُ لَئِنْ حَدَّثْتُـكَ اليومَ حَدِيـثَ كَذِبٍ تَرْضَى بـه عَنِّي، لَيُوشِـكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْـخِطَكَ عَلَيَّ، ولَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَـيَّ فِيهِ، إنِّي لَأَرْجُو فيه عَفْوَ اللَّـهِ، لا واللَّـهِ، ما كانَ لي مِن عُـذْرٍ، واللَّهِ ما كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، ولَا أَيْسَـرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا هذا فقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ. فَقُمْتُ، وثَارَ رِجَالٌ مِن بَنِي سَـلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقالوا لِي: واللَّهِ ما عَلِمْنَاكَ كُنْـتَ أَذْنَبْـتَ ذَنْبًا قَبْلَ هذا، ولقَـدْ عَجَزْتَ أَنْ لا تَكُـونَ اعْتَذَرْتَ إلى رَسـولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما اعْتَذَرَ إلَيْهِ المُتَخَلِّفُونَ، قدْ كانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْـتِغْفَارُ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ، فَوَاللَّهِ ما زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِـي، ثُمَّ قُلـتُ لهمْ: هلْ لَقِيَ هذا مَعِـي أَحَدٌ؟ قالوا: نَعَمْ، رَجُلَانِ، قَـالَا مِثْلَ ما قُلْتَ، فقِيلَ لهمـا مِثْلُ ما قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَن هُمَا؟ قالوا: مُرَارَةُ بنُ الرَّبِيعِ العَمْرِيُّ، وهِلَالُ بنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قدْ شَـهِدَا بَدْرًا، فِيهِما أُسْـوَةٌ، فَمَضَيْتُ

حِينَ ذَكَرُوهُما لِي، ونَهَى رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُسْلِمِينَ عن كَلَامِنَا أيُّها الثَّلَاثَةُ مِن بَيْنِ مَن تَخَلَّفَ عنْه، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وتَغَيَّرُوا لَنَا حتَّى تَنكَّرَتْ في نَفْسِي الأرْضُ فَما هي الَّتي أعْرِفُ، فَلَبِثْنَا علَى ذلكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فأمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وقَعَدَا فِي بُيُوتِهِما يَبْكِيَانِ، وأَمَّا أنَا، فَكُنْتُ أشَبَّ القَوْمِ وأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أخْرُجُ فأشْهَدُ الصَّلَاةَ مع المُسْلِمِينَ، وأَطُوفُ في الأسْوَاقِ ولَا يُكَلِّمُنِي أحَدٌ، وآتي رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُسَلِّمُ عليه وهو في مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فأقُولُ في نَفْسِي: هلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بردِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا منه، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أقْبَلْتُ علَى صَلَاتِي أقْبَلَ إلَيَّ، وإذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أعْرَضَ عَنِّي، حتَّى إذَا طَالَ عَلَيَّ ذلكَ مِن جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أبِي قَتَادَةَ، وهو ابنُ عَمِّي وأَحَبُّ النَّاسِ إلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عليه، فَوَاللَّهِ ما رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: يا أبَا قَتَادَةَ، أنْشُدُكَ باللَّهِ هلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ له فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ له فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، ففَاضَتْ عَيْنَايَ، وتَوَلَّيْتُ حتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ، قَالَ: فَبَيْنَا أنَا أمْشِي بسُوقِ المَدِينَةِ، إذَا نَبَطِيٌّ مِن أنْبَاطِ أهْلِ الشَّأْمِ، ممَّنْ قَدِمَ بالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بالمَدِينَةِ، يقولُ: مَن يَدُلُّ علَى كَعْبِ بنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ له، حتَّى إذَا جَاءَنِي دَفَعَ إلَيَّ كِتَابًا مِن مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أمَّا بَعْدُ، فإنَّه قَدْ بَلَغَنِي أنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ولَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بدَارِ هَوَانٍ، ولَا مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وهذا أيضًا مِنَ البَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بهَا، حتَّى إذَا مَضَتْ أرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الخَمْسِينَ، إذَا رَسولُ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا؟ أمْ مَاذَا أفْعَلُ؟ قَالَ: لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا ولَا تَقْرَبْهَا، وأَرْسَلَ إلى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذلكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الحَقِي بأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ، حتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ في هذا الأمْرِ، قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ

امْـرَأَةُ هِلَالِ بنِ أُمَيَّةَ رَسـولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يا رَسـولَ اللَّه: إنَّ هِلَالَ بنَ أُمَيَّةَ شـيخٌ ضَائِعٌ، ليسَ له خَادِمٌ، فَهلْ تَكْـرَهُ أنْ أخْدُمَهُ؟ قَالَ: لَا، ولَكِنْ لا يَقْرَبْكِ. قَالَتْ: إنَّه واللَّه ما به حَرَكَةٌ إلى شيءٍ، واللَّه ما زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كانَ مِن أمْرِهِ، ما كانَ إلـى يَومِـهِ هذا، فَقَالَ لـي بَعْضُ أهْلِي: لَو اسْـتَأْذَنْتَ رَسـولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في امْرَأتِـكَ كمـا أذِنَ لِامْرَأةِ هِـلَالِ بنِ أُمَيَّةَ أنْ تَخْدُمَـهُ؟ فَقُلتُ: واللَّه لا أسْـتَأْذِنُ فِيهَا رَسولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما يُدْرِينِي ما يقولُ رَسولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وأنَا رَجُلٌ شَـابٌّ؟ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذلكَ عَشْـرَ لَيَالٍ، حتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِن حِينَ نَهَى رَسـولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِـينَ لَيْلَةً، وأنَا علَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِن بُيُوتِنَـا، فَبَيْنَا أنَا جَالِسٌ علَى الحَالِ الَّتي ذَكَرَ اللَّـهُ، قدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِـي، وضَاقَتْ عَلَيَّ الأرْضُ بما رَحُبَتْ، سَـمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أوْفَى علَى جَبَلِ سَلْعٍ بأَعْلَى صَوْتِهِ: يا كَعْبُ بنَ مَالِكٍ أبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَـاجِدًا، وعَرَفْتُ أنْ قدْ جَاءَ فَرَجٌ، وآذَنَ رَسـولُ اللَّـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتَوْبَةِ اللَّه عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّـرُوننَا، وذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّـرُونَ، ورَكَضَ إلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وسَعَى سَاعٍ مِن أسْلَمَ، فأوْفَى علَى الجَبَلِ، وكانَ الصَّوْتُ أسْـرَعَ مِـنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الذي سَـمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّـرُنِي، نَزَعْـتُ له ثَوْبَيَّ، فَكَسَـوْتُهُ إيَّاهُمَا، ببُشْرَاهُ واللَّه ما أمْلِكُ غَيْرَهُما يَومَئِذٍ، واسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وانْطَلَقْـتُ إلـى رَسـولِ اللَّـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَتَلَقَّانِي النَّـاسُ فَوْجًا فَوْجًـا، يُهَنُّونِي بالتَّوْبَـةِ، يقولـونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّه عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حتَّى دَخَلْتُ المَسْـجِدَ، فَإذَا رَسـولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إلَيَّ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّه يُهَرْوِلُ حتَّـى صَافَحَنِي وهَنَّانِي، واللَّه ما قَـامَ إلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، ولَا أنْسَـاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَـلَّمْتُ علَى رَسـولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: رَسولُ اللَّه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يَبْرُقُ وجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: أَبْشِرْ بخَيْرِ يومٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ ولَدَتْكَ أُمُّكَ، قَالَ: قُلتُ: أَمِنْ عِندِكَ يا رَسولَ اللَّهِ، أَمْ مِن عِندِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ مِن عِندِ اللَّهِ. وكانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وجْهُهُ، حتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وكُنَّا نَعْرِفُ ذلكَ منه، فَلَمَّا جَلَسْتُ بيْنَ يَدَيْهِ قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ مِن تَوْبَتي أَنْ أَنْخَلِعَ مِن مَالِي صَدَقَةً إلى اللَّهِ وإلَى رَسولِ اللَّهِ، قَالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهو خَيْرٌ لَكَ. قُلتُ: فإنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الذي بخَيْبَرَ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ اللَّهَ إنَّما نَجَّانِي بالصِّدْقِ، وإنَّ مِن تَوْبَتي أَنْ لا أُحَدِّثَ إلَّا صِدْقًا، ما بَقِيتُ. فَوَاللَّهِ ما أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ في صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلكَ لِرَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحْسَنَ ممَّا أَبْلَانِي، ما تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلكَ لِرَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يَومِي هذا كَذِبًا، وإنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيما بَقِيتُ، وأَنْزَلَ اللَّهُ على رَسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[1] إلى قَوْلِهِ ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[2] فَوَاللَّهِ ما أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِن نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، أَعْظَمَ في نَفْسِي مِن صِدْقِي لِرَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ لا أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كما هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فإنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا - حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ - شَرَّ ما قَالَ لأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾[3] إلى قَوْلِهِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾[4]، قَالَ كَعْبٌ: وكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّها الثَّلَاثَةُ عن أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ منهمْ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا له، فَبَايَعَهُمْ واسْتَغْفَرَ لهمْ، وأَرْجَأَ رَسولُ

(١) سورة التوبة: آية ١١٧.
(٢) سورة التوبة: آية ١١٩.
(٣) سورة التوبة: آية ٩٥.
(٤) سورة التوبة: آية ٩٦.

اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمْرَنَا حتَّى قَضَى اللَّهُ فيه، فَبذلكَ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾[1]. وليسَ الذي ذَكَرَ اللَّهُ ممَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إنَّما هو تَخْلِيفُهُ إيَّانَا، وإرْجَاؤُهُ أمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ له واعْتَذَرَ إلَيْهِ فَقَبِلَ منه»[2] انتهى ..

❊❊❊

(١) سورة التوبة: آية ١١٨.

(٢) صحيح البخاري (٤٤١٨).

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... أما بعد:

فبعد أن سمعنا تلك القصة المعبرة التي يعيش فيها المسلم في عالم آخر بل ربما يكون من عالم المستحيلات إلا أنها واقعة حقيقية لا جدال فيها ولا شك وبعلمنا أن نقف عدة وقفات مع تلك الحادثة فمنها على سبيل الاختصار:

■ **١) أين المصلحة؟**

فالشريعة الإسلامية مبنية على جلب المصالح وتحصيلها ودفع المفاسد وتقليلها وهو أمر في غاية الأهمية وذلك واضح في أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صرح بذكر جهة المسير تلك المسافة البعيدة وهي من المدينة إلى تبوك كي يتجهز الجيش لذلك وهذا جوانب المهارة والخبرة السياسية والعسكرية عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لذا يجب على المسلم أيًا كان أن يأخذ الحيطة والحذر في أموره.

■ **٢) التسويف:**

وهي المشكلة التي وقع فيها كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وليس كعب وحده بل سائر المجتمع الآن على ذلك وسوف كلمة من جنود إبليس كما قيل ولقد استطاع الشيطان على كعب عن طريق هذه الكلمة وعلينا أن نبادر بالأعمال دائماً ولا نسوف.

■ **٣) من أي أصناف المجتمع أنت؟:**

فقد كان كعب يقسم المجتمع إلى أربعة أقسام:

* قسم بادر بالخروج مع الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهم المجاهدون.
* قسم الضعفاء فأولئك معذرون.
* قسم تخلفوا عن الركب لا لشيء فأولئك هم المتخلفون.
* قسم مطعون فيهم فأولئك هم المنافقون.

ولينظر المسلم لنفسه أين مكانه من هذا التصنيف للمجتمع ؟.

■ **٤) المجتمع المتماسك:**

وهذا واضح من خلال تفقد الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأصحابه وسؤاله عن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكذلك الذي رد على من نال من عرض كعب وتزكية البعض لكعب كل هذا يدل على تماسك المجتمع وترابطه وعندئذ لا يستطيع الأعداء التسلل له. وهكذا يجب أن نكون.

■ **٥) التخطيط للنجاة:**

وذلك بعد عودة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الغزوة فأولئك تمت النجاة لهم عن طريق الكذب على الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولكن النجاة الحقيقية هي بالصدق وإن كان مراً فإن النجاة من الله تعالى وليست من الخلق وللأسف أن ذلك ديدن الكثير من الناس فلا تحلوا له الحياة إلا بالكذب والعياذ بالله.

■ **٦) فبئس القرين:**

فإن الصديق ينصح وليست كل نصيحة من صديق موفقه فها هو ذا كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يخبرنا عن نصيحة بعض رفاقه ولكنها نصيحة لو أخذ بها لهلك فما أشد خطر صديق السوء. أعاذنا الله وإياكم منه.

■ ٧) التربية النبوية :

وهذا يظهر من خلال أمر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على هجر كعب وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وامتثال المجتمع بأسره لذلك فما أعظمها من تربية.

■ ٨) المؤامرة لتفكيك المجتمع :

وهذا واضح من قبل الأعداء حيث أن أخبار المجتمع الإسلامي لا تخفى على الأعداء وأن هناك طابوراً خامساً يعمل داخل الصف الإسلامي ولذلك يجب الحذر منه وألا تكون أسرار المجتمع الإسلامي معلنة للجميع تنتقل للأعداء وينفذون للمسلمين من خلالها وما زال أولئك يسعون لتفكيك المجتمع بجميع الوسائل والطرق الممكنة لهم ولكن أين المسلم المتيقظ المنتبه؟.

■ ٩) وجاء الفرج:

وذلك من الله تعالى لكعب وأصحابه وإن مع العسر يسراً ولا ينبلج الفجر إلا بعد أن يبلغ الليل كماله في السواد وبالصدق والصبر والفلاح والطاعة أتى الفرج من الله تعالى لكعب وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ خلدها لهم القرآن.

اللهم اجعلنا من المعتبرين الشاكرين المنيبين، وأهلك الكفرة والمنافقين.

❊❊❊

قصة حاج

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً إلى يوم الدين .... أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[1].

قصة فيها عبرة بل فيها الكثير من العبر والدروس والمواعظ ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[2] إنها رحلة مليئة بالعجائب والغرائب والمواقف الكثيرة التي لو دونت لكانت من أكثر كتب الرحلات إثارة وعبرة استمرت الرحلة أكثر من سنتين ينزلون أحياناً في بعض المدن للتكسب والرحلة والتزود لنفقات الرحلة مرة أخرى، إنه الشيخ الحاج عثمان دابو رَحِمَهُ ٱللَّهُ من جمهورية جامبيا في أقصى الغرب الأفريقي تجاوز الثمانين من عمره وكان يسكن في منزله المتواضع في قريته الصغيرة قرب عاصمة جامبيا يحدثنا عن رحلته الطويلة قبل خمسين سنة إلى البيت العتيق ماشياً على قدميه مع أربعة من أصحابه من جامبيا إلى مكة قاطعين قارة أفريقيا من غربها إلى شرقها لم يركبوا فيها إلا قليلاً إلى أن وصلوا البحر الأحمر ثم ركبوا السفينة إلى ميناء جدة.

(١) سورة الحشر: آية ١٨.

(٢) سورة يوسف: آية ١١١.

يقول أحد الدعاة الذين حاوروه حول رحلته هذه أليس حج البيت فرض على المستطيع وأنتم في ذلك الوقت غير مستطيعين؟ قال: نعم ولكننا تذاكرنا ذات يوم قصة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما ذهب بأهله إلى واد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام فقال أحدنا نحن الآن شباب أقوياء أصحاء فما عذرنا عند الله أن نحن قصرنا في المسير إلى بيته المحرم خاصة أننا لنظن أن الأيام لن تزيدنا إلا ضعفاً فهيجنا واستحثنا على السفر مستعينين بالله قاصدين حرم الله.

خرج الخمسة من دورهم وليس معهم إلا قوتاً لا يكفيهم أكثر من أسبوع واحد فقط والدافع الرئيس لذلك هو تحقيق أمر الله تعالى لهم بحج بيته العتيق وأصابهم في طريقهم من المشقة والضيق والكرب ما الله به عليم فكم من ليلة باتوا فيها على الجوع وكم ليلة طاردتهم فيها السباع وفارقهم لذيذ المنام وكم من ليلة أحاط بهم الخوف من كل جانب.

رب ليل بكيت منه فلما صرتُ في غيره بكيت عليه

يقول الحاج عثمان: لدغت ذات ليلة في أثناء السفر فأصابتني حمى شديدة وألم عظيم أقعدني وأسهرني وشممت رائحة الموت تسري في عروقي فكان أصحابي يذهبون للعمل وكنت أمكث تحت ظل شجرة إلى أن يأتوا في آخر النهار فكان الشيطان يوسوس في صدري أما كان الأولى أن تبقى في أرضك ولماذا تكلف نفسك ما لا تطيق؟ ألم يفرض الله الحج على المستطيع فقط؟ يقول فثقلت نفسي وكدت أضعف فلما جاء أصحابي نظر أحدهم إليّ وسألني عن حالي فالتفت عنه ومسحت دمعة غلبتني فكأنه أحس ما بي فقال قم فتوضأ وصلي ولن تجد إلا خيراً وإن شاء الله والله يقول ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا

﴿لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾[1]، قال فانشرح صدري وأذهب الله عني الحزن ولله الحمد.

وكان الشوق للوصول إلى الحرمين الشريفين يحدوهم في كل أحوالهم ويخفف عليهم آلام السفر ومشاق الطريق ومخاطره، مات ثلاثة منهم في الطريق كان آخرهم في عرض البحر واللطيف أن وصيته لصاحبيه أن قال لهما إذا وصلتما إلى المسجد الحرام فأخبرا الله تعالى شوقي للقائه واسألاه أن يجمعني ووالدتي في الجنة مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول الحاج عثمان: لما مات صاحبنا الثالث نزلني هم شديد وغم عظيم وكان ذلك أشد ما لاقيت في رحلتي فقد كان أكثرنا صبراً وقوة وخشية أن أموت قبل أن أنعم بالوصول إلى المسجد الحرام فكنت أحسب الأيام والساعات على أحر من الجمر.

إذا برقت نحو الحجاز سحابةٌ ... دعا الشوق مني برقها المتضامن

فلما وصلنا إلى جده مرضت مرضاً شديداً وخشيت أن أموت قبل أن أصل إلى مكة المكرمة فأوصيت صاحبي أنني إذا مت أن يكفني في إحرامي ويقربني قدر طاقته إلى مكة لعل الله أن يضاعف لي الأجر ويتقبلني في الصالحين.

فيوشك أن يحول الموت بيني ... وبين جوار بيتك والطواف

فكم من سائل لك رب رغباً ... ورهباً بين منتعل وحافٍ

أتاك الراغبون إليك شعثاً ... يسوقون المقلدة الصوافي

(١) سورة البقرة: آية ٤٥-٤٦.

يقول مكثنا في جدة أياماً ثم واصلنا طريقنا إلى مكة كانت أنفاسي تتسارع والبشر يملأ وجهي والشوق يهزني ويشدني إلى أن وصلنا إلى البيت الحرام.

ثم سكت قليلاً وأخذ يكفكف عبراته وأقسم بالله أنه لم ير لذة في حياته كتلك اللذة التي غمرت قلبه لما رأى الكعبة المشرفة ثم قال لما رأيت الكعبة سجدت لله شكراً. وأخذت أبكي من شدة الرهبة والهيبة كما يبكي الأطفال فما أشرفه من بيت وأعظمه من مكان. ثم تذكرت أصحابي الذين لم يتيسر لهم الوصول إلى المسجد الحرام فحمدت الله على نعمته وفضله علي ثم سألته أن يكتب خطواتهم وألا يحرمهم الأجر وأن يجمعنا بهم ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾[1].

يقول محدثنا الداعية: خرجت من بيت هذا الحاج وأنا أردد قول الله تعالى ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[2].

إقبال جاد على الطاعة وعزيمة لا تعرف الملل وهمة لا تعرف الكسل إقبال بهمة صادقة وعزيمة عالية تنبع من قلب متعلق بمحبة الله وامتثال أمره. إنها الاستجابة لنداء الله ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾[3] فما هي حال كثير من المسلمين في هذا العصر ممن تحققت فيهم الشروط الشرعية الموجبة لحج بيت الله الحرام ومع ذلك يسوفون ويتباطئون، نسأل الله أن يهدي ضال المسلمين.

اللهم يسر على الحجاج حجهم، اللهم أجعل حجهم مبرورا وذنبهم مغفورا وسعيهم مشكورا.

---

(١) سورة القمر: آية ٥٥.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٣٣.

(٣) سورة الحج: آية ٢٧.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً يرضاه والشكر له على نعماه وإن كانت غير محصاه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله:

والقصة السابقة فيها العظة والعبرة والمقصد منها تحفيز الهمم وتشويق النفوس لحج بيت الله الحرام والحج فريضة ثابتة بالكتاب والسنة. ومن أنكر فرضيته وهو يعيش بين المسلمين فهو كافر ومن تركه مع إقرار بفرضيته فهو آثم ومرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب. يقول تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[1].

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعجَّلوا إلى الحجّ فإن أحدَكم لا يدري ما يعرضُ له»[2].

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أراد الحجَّ فليتعجَّلْ فإنَّهُ قد يمرضُ المريضُ وتضلُّ الضالَّةُ وتعرِضُ الحاجَةُ»[3].

ولا تحرم نفسك من الأجر العظيم في الحج حيث قول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن حَجَّ هذا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، ولَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَومِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ»[4].

---

(١) سورة آل عمران: آية ٩٧.

(٢) أخرجه أحمد (٢٨٦٩)، والفاكهي في (أخبار مكة) (٨١٢) واللفظ لهما، والطحاوي في (شرح مشكل الآثار) (٦٠٣١).

(٣) أخرجه أبو داود (١٧٣٢) مختصراً، وابن ماجه (٢٨٨٣)، وأحمد (١٨٣٤) واللفظ لهما.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٢٠) واللفظ له، ومسلم (١٣٥٠).

ويقـول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الحـجُّ المبرورُ ليس له جـزاءٌ إلا الجنـةُ والعمرةُ إلى العمـرةِ تكفيـرٌ لما بينَهُمـا**»[1] فكم نحن بحاجـة إلى الحسـنات ومغفرة الذنوب والسيئات.

❊❊❊

(١) أخرجه البخاري(١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩)باختلاف يسير.

الفهرس

- مقدمة ٣
- قصة أصحاب الفيل ٦
- قصة ذي النون ١٢
- الفرج بعد الشدة ١٨
- قصة الذين خلفوا عن غزوة تبوك ٢٣
- قصة حاج ٣٣

❊❊❊